السيرة النبوية بين المعرفة والاقتداء

الدكتور منير باحوس
باحث في علوم التربية وديداكتيك التربية الإسلامية
الأكاديمية الجهوية لجهة الشرق

ملخص:

يتناول هذا البحث السيرة النبوية باعتبارها مصدرا أساسيا للتربية الإسلامية، يجمع بين المعرفة الشرعية والاقتداء العملي برسول الله صلى الله عليه وسلم. ويناقش قصور تدريس السيرة عندما يقتصر على سرد الأحداث التاريخية دون استثمار دلالاتها التربوية والقيمية.

كما يبرز وظائف السيرة الإيمانية والمعرفية والأخلاقية والحضارية والتعليمية في بناء شخصية المتعلم.

ويؤكد أن القيمة الحقيقية للسيرة تكمن في استنباط الهدايات والدروس من الوقائع، لا في حفظ تفاصيلها فقط. ويدعو إلى اعتماد مقاربة ديداكتيكية تجعل المتعلم مشاركا في تحليل الأحداث واستخلاص معانيها وربطها بواقعه. ويبين أن الانتقال من صورة الحدث إلى هدي الحدث يمثل جوهر تعليم السيرة النبوية.

Abstract :

This study examines the Prophetic Biography (Seerah) as a fundamental source of Islamic education that integrates religious knowledge with the practical emulation of the Prophet Muhammad (peace be upon him). It discusses the shortcomings of teaching the Seerah when it is limited to narrating historical events without exploring their educational and moral significance. The study also highlights the spiritual, cognitive, ethical, civilizational, and educational functions of the Seerah in shaping learners' personalities. It argues that the true value of the Seerah lies in deriving guidance and lessons from its events rather than merely memorizing their details. Furthermore, it advocates adopting a didactic approach that actively engages learners in analyzing events, extracting their meanings, and relating them to contemporary

realities. Finally, it demonstrates that the transition from the narration of events to the guidance derived from them constitutes the essence of teaching the Prophetic Biography.

مقدمة:

من المعلوم أن السيرة النبوية احتلت مكانة رفيعة في البناء العلمي والتربوي للأمة الإسلامية، لأنها تمثل التطبيق العملي للوحيين -القرآن الكريم والسنة النبوية-، والترجمة الواقعية لمبادئ الإسلام وقيمه وأحكامه.

ولم يكن اهتمام العلماء بها نابعا من كونها تسجل أحداثا تاريخية فحسب[1]، ولكن لأنها تكشف عن منهج النبوة في بناء الإنسان، وإقامة المجتمع، وإدارة الحياة في مختلف أبعادها العقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية.

ولهذا لم تدرس السيرة في التراث الإسلامي بوصفها تاريخا مجردا، بل كان ذلك بوصفها علما يرشد إلى فهم القرآن الكريم، ويعين على إدراك مقاصد السنة النبوية، ويبرز الكيفية التي انتقلت بها تعاليم الإسلام من النص إلى الواقع.

فكانت بذلك مصدرا للتربية والتزكية، ومرجعا في بناء الشخصية المسلمة، ودليلا عمليا للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

غير أن المتأمل في واقع تدريس السيرة النبوية بالمدرسة المغربية يلاحظ أن هذا البعد التربوي قد تراجع في كثير من الممارسات التعليمية، حيث انصرف الاهتمام إلى عرض الوقائع وتسلسل الأحداث، وأصبحت الغاية في كثير من الأحيان حفظ المعلومات واسترجاعها، بينما غاب الاشتغال على بناء الفهم، واستنباط الهدايات، وربط أحداث السيرة بقضايا الإنسان وواقعه.

ونتيجة لذلك ضعفت قدرة المتعلم على استثمار السيرة في تفسير المواقف، وتقويم السلوك، واستلهام النموذج النبوي في حياته اليومية.

منهجية البحث وأهميته:

تنبع أهمية هذا البحث من الحاجة إلى إعادة بناء تصور تدريس السيرة النبوية في ضوء مقاصدها التربوية، بما يحقق التوازن بين اكتساب المعرفة التاريخية واستثمار الهدي النبوي في بناء شخصية المتعلم. ويسعى إلى إبراز أن القيمة

[1]) "السيرة النبوية دروس وعبر" مصطفى السباعي، ص11-22.

الحقيقية للسيرة لا تكمن في حفظ الوقائع والأحداث، وإنما في استنباط دلالاتها، وربطها بواقع المتعلم، وتوجيهها نحو تنمية القيم والكفايات.

ولتحقيق ذلك، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء النصوص الشرعية وأقوال العلماء والباحثين في السيرة النبوية، وتحليل مضامينها التربوية والديداكتيكية، وربطها بالاتجاهات الحديثة في تعليم التربية الإسلامية. كما سعى إلى بيان الأسس التي تمكن من الانتقال من الاقتصار على رواية الحدث إلى استثمار هديه، بما يجعل السيرة النبوية موردا تربويا فاعلا يسهم في بناء المتعلم فكرا وسلوكا وقيما.

وانطلاقا من هذا التصور، يتناول هذا البحث الأسس التي تجعل السيرة النبوية مجالا لبناء الفهم والاقتداء، وذلك من خلال بيان مفهومها ووظائفها، والكشف عن طبيعة الانتقال من صورة الحدث إلى هدي الحدث...

المبحث الأول: السيرة النبوية: مفهومها وخصائصها ووظائفها التربوية.

المطلب الأول: مفهوم السيرة النبوية وخصائصها.

تحتل السيرة النبوية مكانة مركزية في العلوم الإسلامية، لأنها تمثل الامتداد العملي للوحي، وتجسد الرسالة الإسلامية في واقع الحياة.

وإذا كان القرآن الكريم قد تولى بيان أصول العقيدة، وأسس التشريع، ومقاصد الهداية، فإن السيرة النبوية قدمت النموذج التطبيقي الذي تجلت فيه تلك الأصول والمقاصد في صورة سلوك ومواقف وأحداث. ولهذا لم يكن اهتمام المسلمين بالسيرة مجرد عناية بالتاريخ، وإنما كان اهتماما بفهم الدين من خلال حياة المبلغ عن الله تعالى، الذي جعله الله تعالى أسوة لعباده، فقال سبحانه :﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[1].

***مفهوم السيرة النبوية:**

تدل السيرة في اللغة على الهيئة والطريقة التي يكون عليها الإنسان في حياته، حسنة كانت أو سيئة. كما قال الإمام ابن منظور: "السيرة: السنة والطريقة، يقال: سار فهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة"[2].

---

[1]) سورة الأحزاب، الآية 21.

[2]) "لسان العرب" ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة: (سير)، ج4، ص389.

وهذا المعنى اللغوي ينسجم مع حقيقة السيرة النبوية، لأنها تمثل الطريقة التي عاش بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، في عبادته، ودعوته، ومعاملاته، وجهاده، وسائر شؤون حياته.

أما في الاصطلاح، فقد عرفها علماء الإسلام بأنها العلم الذي يبحث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ مولده إلى وفاته، وما اتصل بذلك من أحواله، وأخلاقه، وغزواته، وسراياه، ودعوته، وعلاقاته بالناس، بما يعين على معرفة شخصيته، وفهم رسالته، والاقتداء به. وقد توسع هذا المفهوم عند المتأخرين، فلم يعد مقصورا على جمع الأخبار وترتيب الأحداث، بل أصبح يشمل تحليل الوقائع، وبيان عللها، واستنباط دلالاتها، والكشف عن مقاصدها التربوية والتشريعية والحضارية[1].

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن السيرة النبوية ليست مرادفة للتاريخ على العهد النبوي، وإن اشتركت معه في تناول الأحداث الماضية؛ لأن التاريخ يهتم بوصف الوقائع وتحليلها في إطارها الزمني، بينما تنظر السيرة إلى الحدث باعتباره وسيلة للهداية وبناء الإنسان، فتتجاوز سؤال: ماذا وقع؟ إلى سؤال غاية في الأهمية مفاده: لماذا وقع؟ وما الهداية التي يحملها؟ ولذلك كانت السيرة النبوية علما مقصودا لذاته، له غاياته التربوية والإيمانية، وليس مجرد سجل للأحداث[2].

ومن أبرز ما تتميز به السيرة النبوية ارتباطها الوثيق بالوحي[3]، فهي ليست سيرة شخصية عادية، وإنما سيرة نبي اصطفاه الله تعالى لتبليغ رسالته، وربط كثيرا من أحداث حياته بتنزيل القرآن الكريم، حتى أصبحت معرفة أسباب النزول، ومراحل التشريع، وأحوال الدعوة، متوقفة في جزء كبير منها على الإحاطة بالسيرة النبوية.

ولهذا السبب كان علماء التفسير والحديث والفقه يولونها عناية خاصة، لما لها من أثر في فهم النصوص الشرعية واستنباط أحكامها.

كما تتميز السيرة النبوية بالشمول؛ فهي لا تقدم جانبا واحدا من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما تعرض شخصيته في مختلف أبعادها؛ فهو الرسول المبلغ عن ربه صلى الله عليه وسلم، والمربي الذي يصنع الرجال، والقائد

---

[1]) "السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، ج1، ص21-28.

[2]) "فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة" محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط25، 2005، ص15-25.

[3]) "المدخل إلى السنة النبوية" عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، دار الاعتصام، القاهرة، ص45-58.

الذي يدير الدولة، والقاضي الذي يفصل بين الناس، وراعي الأسرة الذي يرسي دعائم الاستقرار الأسري، وصاحب الخلق العظيم الذي جعله الله نموذجا للكمال الإنساني[1].

وهذا الشمول يجعل السيرة مصدرا غنيا لبناء المناهج التربوية، لأنها تقدم نماذج متنوعة بإمكاننا الاستفادة منها في مختلف المواقف التعليمية.

ومن خصائص السيرة النبوية أيضا أنها تقوم على الرواية الموثقة، فقد اعتنى علماء الحديث والسيرة بتمحيص الأخبار، ونقد الأسانيد، وتمييز الصحيح من الضعيف، حفاظا على صورة الرسول صلى الله عليه وسلم من التحريف والزيادة والنقصان. ولذلك بقيت من أكثر السير الإنسانية توثيقا، وهو ما أكسبها قوة علمية، وجعلها مرجعا موثوقا في الدراسات الإسلامية والتربوية[2].

وتتميز كذلك بكونها جامعة بين الثبات والتجدد؛ فمبادئها وقيمها ثابتة لا تتغير، لأنها مستمدة من الوحي، أما طرائق تنزيلها في الواقع فتظل مفتوحة للاجتهاد، بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال.

وهذه الخاصية تمنح السيرة النبوية قدرة دائمة على الإلهام، وتجعلها صالحة لتوجيه الإنسان في مختلف العصور، دون أن تفقد ارتباطها بأصولها الشرعية.

ولهذا أقول: إن النظر في السيرة النبوية من منظور ديداكتيكي يقتضي تجاوز التعامل معها باعتبارها مادة معرفية تحفظ، إلى اعتبارها مصدرا لتكوين المتعلم، وبناء وعيه، وتنمية قدرته على قراءة الواقع في ضوء الهدي النبوي.

فكل حدث في السيرة يحمل من المعاني والقيم ما يجعله قابلا لأن يتحول إلى موقف تربوي، وإلى خبرة تعليمية تسهم في بناء شخصية المتعلم، متى أحسن المعلم توظيفه في ضوء أهداف التعلم ومقاصده.

المطلب الثاني: الوظائف التربوية للسيرة النبوية.

إن المتأمل في حال السيرة النبوية يلحظ أنها تؤدي وظائف تربوية متعددة جعلتها من أهم المداخل في بناء شخصية الإنسان المسلم[3].

---

[1]) "زاد المعاد في هدي خير العباد" ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994، ج1، ص10-20.

[2]) "السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة" محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ج1، ص17-30.

[3]) "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع" عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ص135-150.

وقد أدرك علماء الأمة هذه الحقيقة منذ العصور الأولى، فلم تكن عنايتهم بالسيرة من باب الترف الفكري أو الاهتمام بالأخبار، وإنما لأنهم رأوا فيها مدرسة متكاملة للتربية والإصلاح، وميدانا تتجسد فيه مبادئ الإسلام وقيمه في صورة عملية.

ولهذا السبب فإن فهم الوظائف التربوية للسيرة يعد مدخلا أساسيا لتحديد الغاية من تدريسها، وتوجيه الاختيارات الديداكتيكية التي ينبغي أن تحكم تعليمها داخل المؤسسات التربوية.

وتتعدد هذه الوظائف بتعدد المقاصد التي جاءت السيرة لتحقيقها، غير أنها تتكامل جميعها في خدمة مقصد جامع، هو بناء الإنسان المؤمن القادر على فهم الدين وتنزيله في واقع حياته.

أولا: الوظيفة الايمانية.

تؤدي السيرة النبوية وظيفة إيمانية عميقة، لأنها تعرف المتعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال مدخل الاقتداء، وتغرس في قلبه محبته، وتكشف له ما تحمله سيرته من معاني الصبر واليقين والتوكل والإخلاص والثبات على الحق.

وكلما ازداد المتعلم معرفة بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، ازداد تعلقا به، واستشعر عظمة الرسالة التي حملها، فكانت السيرة وسيلة لترسيخ الإيمان وتعميق الصلة بالله تعالى.

ولذلك ربط القرآن الكريم بين الإيمان والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى :﴿ **قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]، فالاقتداء ثمرة للمحبة، والمحبة ثمرة للمعرفة، ولا تتحقق المعرفة الصادقة إلا بدراسة السيرة دراسة واعية تكشف عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته وأخلاقه[2].

ثانيا: الوظيفة المعرفية.

تتجلى وظيفة السيرة المعرفية في كونها مصدرا أصيلا لفهم الإسلام في صورته التطبيقية، فهي تفسر كثيرا من آيات القرآن الكريم، وتوضح أسباب النزول، وتبين مراحل التشريع، وتكشف عن تطور الدعوة الإسلامية في مختلف

[1]) سورة آل عمران، الآية 31.

[2]) "تفسير القرآن العظيم" ابن كثير، دار طيبة، تفسير سورة آل عمران، الآية 31، ج2، ص32-36.

مراحلها. ولذلك فإن دراسة السيرة لا تضيف إلى المتعلم معلومات جديدة فحسب، بل تمكنه من بناء تصور متكامل عن الإسلام باعتباره دينا للحياة[1].

كما أنها تسهم في تنمية التفكير التاريخي والنقدي، من خلال فهم العلاقات بين الأسباب والنتائج، وتحليل المواقف، وإدراك السنن التي تحكم حركة المجتمعات، وهو ما يجعلها تتجاوز مجرد استظهار الوقائع إلى تنمية الفهم العميق للأحداث.

ثالثا: الوظيفة القيمية والاخلاقية.

إن الناظر في السيرة النبوية يجد أنها من أغنى المصادر الإسلامية في مجال التربية على القيم، لأنها تقدم القيم في صورة مواقف عملية، لا في صورة توجيهات مجردة. فالصدق، والأمانة، والعدل، والرحمة، والحلم، والصبر، والعفو، والشورى، وغيرها من القيم، تظهر في السيرة باعتبارها سلوكا يوميا مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف أحواله[2].

وهذا ما يمنحها قوة تربوية خاصة، لأن المتعلم يتأثر بالنموذج العملي أكثر من تأثره بالموعظة المجردة، ولذلك كانت شخصية النبي صلى الله عليه وسلم أعظم وسيلة لتربية الصحابة، ثم بقيت سيرته بعد وفاته مدرسة مفتوحة لتربية الأجيال.

رابعا: الوظيفة الحضارية.

لقد كشفت السيرة النبوية عن قدرة الإسلام في بناء الحضارة، وإقامة المجتمع على أسس العدل والرحمة والتعاون والاحترام والكرامة الإنسانية.

فهي لا تعرض حياة فرد معزول، وإنما تقدم تجربة إنسانية كاملة انتقل فيها المسلمون من الاستضعاف إلى التمكين، ومن التفرق إلى الوحدة، ومن الفوضى إلى بناء الدولة والمؤسسات[3].

---

[1]) "السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة" محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ج1، ص35-50.

[2]) "الرسول المعلم وأساليبه في التعليم" عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ص25-45.

[3]) "السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث" علي محمد الصلابي، ج2، ص15-40.

ومن خلال هذا البعد الحضاري يدرك المتعلم أن الإسلام لم يكن مجرد عبادات وشعائر، وإنما كان مشروعا متكاملا لإصلاح الإنسان والعمران، وأن السيرة تمثل النموذج الأول لهذا المشروع الحضاري.

خامسا: الوظيفة التعليمية.

تتجلى أهمية السيرة النبوية في المجال التعليمي من خلال ما توفره من مواقف غنية تساعد على تنمية مهارات التفكير، والحوار، وحل المشكلات، واتخاذ القرار، واستنباط القيم، وربط المعرفة بالواقع. ولذلك فإن تدريسها ينبغي ألا يقتصر على حفظ الوقائع، وإنما ينبغي أن يتجه إلى استثمارها في بناء الكفايات التي يستهدفها المنهاج الدراسي[1].

فتصبح السيرة بذلك موردا ديداكتيكيا غنيا، يتيح للمدرس تنويع استراتيجيات التعلم، وتوظيف الحوار، والقصة، والمناقشة، وتحليل المواقف، والتعلم بالمشكلة، وغيرها من المقاربات التي تجعل المتعلم مشاركا في بناء المعرفة، لا متلقيا لها فقط.

ويتبين مما سبق أن الوظائف التربوية للسيرة النبوية مترابطة ومتداخلة، فلا يمكن الفصل بين بعدها الإيماني، ووظيفتها المعرفية، ورسالتها الأخلاقية، ودورها الحضاري، وأهميتها التعليمية. الأمر الذي يجعل نجاح تدريس السيرة النبوية رهينا بقدرة المدرس على استحضار هذه الوظائف عند تخطيط الدرس وتنفيذه وتقويمه، حتى تتحول السيرة من مادة دراسية إلى خبرة تربوية متكاملة، تسهم في بناء المتعلم فكرا وقيما وسلوكا، وتجعله أكثر وعيا برسالة الإسلام، وأقدر على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبذلك يكتمل هذا المبحث بتأصيل مفهوم السيرة النبوية، وبيان خصائصها ووظائفها التربوية، تمهيدا للانتقال إلى المبحث الثاني، الذي سيتناول قضية مركزية في هذا الكتاب، وهي **الانتقال من صورة الحدث إلى هدي الحدث**، باعتبارها الأساس الذي يميز تدريس السيرة عن مجرد رواية أحداثها.

[1]) "المفاهيم الديداكتيكية الموظفة في تصريف منهاج مادة التربية الإسلامية الجديد" إسماعيل مرجي، ص10-20.

المبحث الثاني: من صورة الأحداث السيرية إلى هديها.

المطلب الاول: أحداث السيرة النبوية بين الرواية والهداية.

تقوم السيرة النبوية في أصلها على أحداث ووقائع جرت في زمان ومكان محددين، غير أن قيمتها في التصور الإسلامي تستمد من وقوع الحدث في ذاته، وكذلك مما يحمله من هدايات ربانية، وما يتضمنه من معان تربوية وتشريعية وإنسانية[1].

فكما أن الحدث في السيرة يعد غاية مستقلة، فإنه كذلك وعاء للهداية، ووسيلة لإظهار السنن الإلهية في تربية الأفراد وبناء المجتمعات، ولذلك لم يكن القرآن الكريم يعرض الوقائع لمجرد تسجيلها، بل كان يوظفها لترسيخ العقيدة، وتقويم السلوك، وبناء الوعي.

ومن يتأمل آيات القرآن الكريم يجد أن الأحداث المرتبطة بالسيرة لم ترد على سبيل التأريخ، وإنما جاءت مرتبطة بالمقاصد التي يراد غرسها في نفوس المؤمنين. فغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وصلح الحديبية، وفتح مكة، وغيرها من الأحداث، لم تعرض لبيان تفاصيلها الزمنية، وإنما لاستخراج ما تضمنته من سنن النصر والهزيمة، والصبر والابتلاء، والطاعة والمعصية، والتوكل والأخذ بالأسباب.

وهذا يدل على أن الوحي كان يوجه المسلمين إلى تجاوز ظاهر الحدث إلى ما وراءه من الهدايات[2].

فالاقتصار على سرد الأحداث دون الوقوف عند دلالاتها يفرغ السيرة من وظيفتها التربوية، ويحولها إلى مادة تاريخية لا تختلف كثيرا عن سائر كتب التاريخ.

وقد أدرك علماء السيرة هذه الحقيقة، فلم تكن مؤلفاتهم مجرد تسجيل للأخبار، وإنما تضمنت إشارات إلى الحكم والعبر، وربطت الوقائع بمقاصدها، وبينت ما يستفاد منها في التربية والدعوة والإصلاح.

ويظهر ذلك بوضوح في كتب السابقين واللاحقين كالأئمة ابن القيم، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم، فأنهم لم يفصلوا بين رواية الحدث وتحليل معانيه، بل جعلوا العبرة جزءا من فهم السيرة، لا أمرا خارجا عنها.

---

[1]) "فقه السيرة" محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ص11-25.

[2]) "القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث" صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ص45-60.

ومن هنا فإن تدريس السيرة النبوية ينبغي أن يعيد الاعتبار لهذا المنهج، فيجعل الحدث نقطة انطلاق لبناء الفهم، لا نهاية للتعلم. فلا تكون العبرة في الدرس أن يعرف المتعلم متى وقعت الغزوة، أو كم كان عدد المشاركين فيها، وإنما أن يدرك لماذا وقعت، وما المبادئ التي أرستها، وما السنن التي كشفت عنها، وكيف يمكن أن يسترشد بها في حياته المعاصرة.

إن هذا التحول من الاهتمام بصورة الحدث إلى الاهتمام بهدي الحدث يمثل نقلة نوعية في فلسفة تدريس السيرة، لأنه ينقل العملية التعليمية من مستوى استرجاع المعلومات إلى مستوى بناء المعنى، ويجعل المتعلم مشاركا في اكتشاف الدلالات، بدل الاكتفاء بحفظ الوقائع. وعندئذ تصبح السيرة مدرسة للتفكير، كما هي مدرسة للإيمان والأخلاق.

المطلب الثاني: الهدي النبوي غاية التعلم في تدريس السيرة.

إن المتمعن في السيرة النبوية يجد أن الهدي النبوي هو الغاية التي تنتهي إليه دراستها[1].

فالأحداث مهما بلغت أهميتها لا تحقق مقصودها التربوي ما لم تتحول إلى معان راسخة في عقل المتعلم، وإلى قيم مؤثرة في وجدانه، وإلى سلوك ظاهر في حياته.

ولهذا فقد كانت الهدايات النبوية المقصد الأسمى في تدريس السيرة، لكونها تمثل الثمرة التي يراد أن يجنيها المتعلم من دراسته لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقصد بالهدايات النبوية مجموع المبادئ والقيم والسنن التي تجلت في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله ومواقفه، التي كانت ولا تزال مرجعا للمسلم في بناء تصوراته، وتوجيه سلوكه، وتنظيم علاقته بربه، وبنفسه، وبالناس من حوله[2].

فالهدي ليس معلومة تحفظ، وإنما هو منهج حياة يكتسب بالتأمل والفهم والممارسة.

ولذلك فإن نجاح درس السيرة لا يقاس بكمية المعلومات التي استظهرها المتعلم، وإنما بقدرته على استنباط الهدايات من الحدث، وربطها بواقعه، وتوظيفها في معالجة القضايا التي يواجهها في حياته.

---

[1]) "زاد المعاد في هدي خير العباد" ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994، ج1، ص10-15.

[2]) "السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي" مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ص65-85.

وكلما استطاع المدرس أن يقود المتعلم إلى هذا المستوى، اقترب درس السيرة من تحقيق غاياته الحقيقية.

على أنه ينبغي أن يعاد بناء أهداف تدريس السيرة في ضوء هذا التصور، بحيث تنتقل من التركيز على حفظ الأحداث إلى تنمية الفهم، ومن استرجاع الأخبار إلى تحليل المواقف، ومن معرفة الوقائع إلى اكتشاف السنن، ومن تلقي القيم إلى ممارستها.

وهذا هو الانتقال الذي يجعل السيرة النبوية تعلما قائما على الفهم علاوة على الحفظ، وقائما على الاقتداء، النابع من الإعجاب بشخصية الرسول القائد عليه الصلاة والسلام.

ولا يتحقق ذلك إلا إذا أصبح السؤال الرئيس في كل درس من دروس السيرة: ما الهدايات التي يحملها هذا الحدث؟ وكيف يمكن أن تتحول هذه الهديات إلى سلوك عملي في حياته؟

وبذلك يصير الهدي النبوي الرابط الذي يجمع بين المعرفة والعمل، وبين الفهم والاقتداء، وبين دراسة الماضي وصناعة المستقبل، الشيء الذي يجعل تدريس السيرة النبوية يتجاوز حدود التعليم إلى مجال التربية والتكوين، ويحقق المقصد الذي من أجله حفظت الأمة سيرة نبيها، وتناقلتها جيلا بعد جيل.

خاتمة:

خلص هذا البحث إلى أن السيرة النبوية ليست مجرد سجل تاريخي لأحداث مضت، وإنما هي منهج تربوي متكامل يجمع بين المعرفة والعمل، ويؤسس لبناء الإنسان في أبعاده الإيمانية والمعرفية والأخلاقية والحضارية.

كما تبين من خلاله أن الاقتصار على تدريس الوقائع والأحداث بمعزل عن مقاصدها وهداياتها يفقد السيرة وظيفتها التربوية، ويحولها إلى مادة معرفية جامدة لا تحقق الغاية المنشودة من تعليمها.

وقد أظهر البحث أن الانتقال من التركيز على صورة الحدث إلى استنباط هديه يمثل المدخل الحقيقي لتجديد تدريس السيرة النبوية، بما يجعل المتعلم قادرا على فهم السنن الإلهية، واستلهام القيم النبوية، وربطها بواقعه المعاصر. كما أكد أن اعتماد مقاربة ديداكتيكية قائمة على التحليل والتفكير والاستنباط يسهم في تنمية شخصية متوازنة تجمع بين الفهم العميق والاقتداء الواعي.

وانطلاقا من ذلك، يوصي البحث بإعادة بناء مناهج تدريس السيرة النبوية في ضوء أهدافها التربوية، وتطوير الممارسات الديداكتيكية بما يضمن توظيف الأحداث السيرية في تنمية الكفايات والقيم، وإعداد المدرسين على اعتماد استراتيجيات تعليمية تجعل المتعلم فاعلا في بناء المعرفة واستثمار الهدي النبوي في معالجة قضايا الحياة. كما يقترح إجراء دراسات ميدانية تقيس أثر هذا التصور في تحسين تعلم السيرة النبوية وتعزيز حضورها في بناء شخصية المتعلم، بما يحقق المقصد الأسمى من دراستها، وهو الجمع بين المعرفة والاقتداء.

لائحة المصادروالمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق
- "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع" عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق.
- "الرسول المعلم وأساليبه في التعليم" عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- "السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي" مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- "السيرة النبوية دروس وعبر" مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- "السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة" محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق.
- "السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث" علي محمد الصالبي، الجزء الأول والجزء الثاني.
- "القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث" صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق.
- "المداخل إلى السنة النبوية" عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، دار الاعتصام، القاهرة.
- "المفاهيم الديداكتيكية الموظفة في تصريف منهاج مادة التربية الإسلامية الجديد" إسماعيل مرجي.
- "تفسير القرآن العظيم" إسماعيل بن عمر ابن كثير، دار طيبة، الرياض.
- "زاد المعاد في هدي خير العباد" محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، 1994م.
- "فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة" محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون، 2005م.
- "لسان العرب" محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.